



خطبة صلاة الجمعة 2025/10/3 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(حلف الفضول وأسطول الصمود)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتبا، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ [الكهف: 47-49].

أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:102]».»

عنوان خطبة اليوم: حلف الفضول وأسطول الصمود

أيها الإخوة:

كان حلف الفضول أكرم حلف وأفضله في العرب في الجاهلية، وسببه أن رجلاً من قبيلة (زبيد) باليمن قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي وأبى أن يعطيه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحناف: عبد الدار، ومخزوماً، وجمحاً، وسهماً، وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل

وانتهروه، فلما رأى الزبيدي الشر صعد على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فاستصرخهم لرد ظلامته قائلاً:

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ بَبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ والنَّقْرِ
إِنَّ الحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الفَاجِرِ العَدْرِ

فقام الزبير بن عبد المطلب فقال: ما لهذا مترك.

فاجتمعت بنو هاشم، وزهرة، وبنو تميم بن مُرَّة في دار عبد الله بن جدعان، فصنع لهم طعاماً، وتحالفوا في شهرٍ حرام، وهو ذو القعدة، فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونَ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم حتى يرد إليه حقه ما بلّ بحر صوفة، وما بقي جبلاً ثبير وحرأء مكانهما.

فسمّت قريش هذا الحلف (حلف الفضول) وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانترعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه.

وقد حضر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحلف الذي رفعوا به منار الحق، وهدموا صرح الظلم، وهو يعتبر من مفاخر العرب وعرفانهم لحقوق الإنسان، وقد روي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعِيَ بِهِ فِي الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ» [سيرة ابن هشام].

إنّ بريق الفرح - بهذا الحلف - يظهر في ثنايا الكلمات التي عبّر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فإنّ هذه الحمية للحق ضدّ أي ظالم مهما عَزَّ، ومع أي مظلوم مهما هان؛ هي روح الإسلام الأمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، الواقف عند حدود الله. ووظيفة الإسلام أن يحارب البغي في سياسات الأمم، وفي صلوات الأفراد على سواء..

و(حلف الفضول) دلالة على أنّ الحياة مهما اسودّت صحائفها، وكلحت شرورها، فلن تخلو من نفوسٍ تهزّها معاني النبيل، وتستجيشها إلى النجدة والبر.

أيها الإخوة:

اليوم وبعد حصارٍ ظالمٍ خانقٍ لغزة بدأ منذ العام 2007 ولا زال مستمراً، وبعد حربٍ مجرمةٍ على غزة بدأت منذ سنتين، تحرّك ائتلاف عالمي من السفن التي تُقِلّ نشطاء من عشرات الدول لتُبحر تحت لواء أسطول الصمود العالمي، هزتهم معاني النبيل واستثارتهم بواعث الخير والبر وناداهم منادي الفطرة لرفع الظلم عن المظلومين.

سارت السفن لكسر الحصار المفروض على القطاع وفتح ممر إنساني وتوجيه رسالة إلى العالم بأن كسر الحصار ممكنٌ وضروري، حاملةً على متنها بعض الإمدادات الغذائية والإنسانية.

انطلقت قرابة خمسين سفينةً من موانئ في اسبانيا وإيطاليا واليونان وتونس لتنتقل في البحر الأبيض المتوسط متجهةً لقطاع غزة فيما يعتبر أول تحرك من نوعه عالمياً والأوسع لكسر الحصار البحري عنها.

أكثر من خمسمئة ناشطٍ مدني وشخصية عامة وصحفي من سبع وأربعين دولةً من بينهم برلمانيون وشخصياتٌ سياسيةٌ عربيةٌ وأوروبيةٌ وإفريقيةٌ وآسيويةٌ وأمريكيةٌ وأستراليةٌ كلهم تحركوا في حلفٍ شبيهٍ بحلف الفضول ليرفعوا الظلم عن أهل غزة.

لكن إسرائيل المجرمة تهاجم كل سفينة تتحرك لفك الحصار بالمسيرات أو بالاحتجاز أو بالاعتقال. بترسانة عسكرية ثقيلة وجنود مدججين بالسلاح مقابل سفنٍ مدنيةٍ ورجالٍ ونساءٍ مدنيين.

وخرج مئات آلاف المحتجين في روما وبرشلونة واسطنبول وبرلين واثينا وباريس ونواكشوط وتونس داعمين لأسطول الصمود العالمي وفاضحين لسياسات الكيان الصهيوني المجرم.

وقد كان من حق جميع الدول الإسلامية والعربية والداعية لحقوق الإنسان الوقوف إلى جانب أهل غزة، وإلى جانب من يناصرهم ويساندهم، لأنّ الفطرة القويمة والعقل السليم والشريعة الصحيحة تدعو إلى نصره المظلوم والأخذ على يد الظالم.

ولا ريب أن الله منتقمٌ من الظالمين ومنتقمٌ ممن رأى مظلوماً واستطاع أن يعينه ولم يعنه.

قد نرى الظالم يعلو لكنّه بلا ريبٍ علوٌ لسقوطٍ موجه، قد نراه يرتقي لكنّه ارتقاءٌ لهبوطٍ مؤلم، قد نراه يزهو في الدنيا لكنّه سيهوي في الآخرة ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:21].

رؤي أنّ أحد الأكاسرة بني قصرًا على دجلة ولما انتهى من بنيانه وفرشه راح ينظر إلى جماله وحوله حاشيته وكبراؤه، هنا قاعة الشرف، وهنا قاعة العرش، وهنا قاعة الحريم، وهذه القاعة للطعام، وهذه للاستقبال وهكذا...

ويفتح النوافذ. نافذة تطل على المدينة، وثانية تطل على الجبل، وثالثة على البساتين والحدائق، ورابعة على النهر...

أطل كسرى من إحدى النوافذ فوجد على شاطئ دجلة وعلى مرمى نظره كوخاً متواضعاً فغضب وقال: كيف تسمعون لكوخ حقير أن يقيم بجانب قصري؟ ثم أمرهم بإزالته ورميه في النهر ففعلوا...

في المساء أتت امرأة عجوز كانت تحتطب وتعمل لكسب عيشها، أتت تفتش عن كوخها ولمّا لم تجده قال لها النَّاس عمّ تفتشين!؟

قالت: أفتش عن كوكبي ليس لي سواه.

قالوا: لقد ألقاه كسرى في النَّهر اليوم.

فنظرت إلى القصر العامر والدُّموع تنهمر في عينيها ثمّ رفعت رأسها إلى السَّماء وقالت: يا ربّ أنا كنت غائبةً فأين كنت أنت!!؟

فأمر الله سبحانه فحسف بالقصر ومن فيه.

جاء في الأثر عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي» [الطبراني في الصغير].

وروى الطُّبراني عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، يَقُولُ اللهُ: وَعِزِّي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ».

وفي مستدرک الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا دَعْوَاتِ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ».

وأخرج الطُّبراني وغيره عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزِّي وَجَلَالِي لِأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ».

مما يُذكر في انتقام الله من الظالمين وسوء عاقبتهم قصةُ نهاية أبي لهب وابنه عتبة اللذين آذيا الصَّحابة وظلمّاهم وأساءا إليهم.

روى ابن عساکر في ترجمة عتبة بن أبي لهب، من طريق محمّد بن إسحاق قال:

كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهّزا إلى الشَّام، فقال عتبة: والله لأنطلق إلى محمّد، ولأوذينه في ربه، فانطلق حتّى أتى النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمّد، أنا أكفر بالذي ﴿دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)﴾ [النجم: 8-9]، فقال النَّبيّ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ»

[ابن عساکر]، ثمّ انصرف فرجع إلى أبيه، فأخبره بما جرى معه، فقال أبو لهب: والله ما آمن عليك دعاءه.

فساروا فنزلوا بأرضٍ للرَّاحة، فرآهم راهب فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد فإنّها تسرح الأُسُد فيها كما تسرح الغنم، فقال أبو لهب لمن معه: إنَّكم قد عرفتم كبر سبيّي وحققي، وإنَّ هذا الرَّجل قد

دعا على ابني دعوةً والله ما آمنها عليه، فاجتمعوا متاعكم إلى هذه الصَّومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا، فجاء الأسد فشتمَّ وجوهنا فلمَّا لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبَةً، فإذا هو فوق المتاع فشتمَّ وجهه ثمَّ ضربه ضربةً ففضح رأسه -هشمه- فقال أبو لهب: قد عرفتُ أنه لا ينفلتُ من دعوة محمَّد. وأمَّا أبو لهب، فقد رماه الله بالعدسة -مرض جلدي- فقتلته، ولقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتَّى أنتن، وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطَّاعون، حتَّى قال لهم رجل من قريش: ويحكما!! ألا تستحيان إنَّ أباكما قد أنتن في بيته لا تدفناه؟ فقالا: إنَّا نخشى عدوةً هذه القرحة، فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثمَّ احتملوه إلى أعلى مكَّة فأسندوه إلى جدار ثمَّ رجموا عليه الحجارة.

هكذا انتهت حياة من انتقم الله منه لظلمه، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21].

أيها الإخوة:

أمَّا أهل غزة فقد أدوا ما عليهم وبقي الذي لهم، وأمَّا نحن فإنَّ الله مُتَحَنُّنٌ بِعَوْنِهِمْ ما استطعنا لذلك سبيلاً، وأمَّا القائمون على أسطول الصمود ومن أعانهم فطابوا وطاب ممشاهم.

وأمَّا الكيان المجرم ومن والاه فإنَّه ينتظر من الله سوء العاقبة، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ [يونس: 108-109].

والحمد لله رب العالمين